

لقاء قناة السلام بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/1/3
(كركوك وحقل الفكة)

المقدم: أسست تيار الإصلاح الوطني، وأنت تعرف أن لفظة الإصلاح تعني وجود خلل ما.. فما هو الخلل المشخص من قبلكم، وما سبب تأسيسكم للتيار؟

الجعفري: مفهوم الإصلاح يقابله في اللغة مفهوم الإفساد، والإفساد الذي ينتشر من قبل مُفسد ما يقابله الإصلاح من قبل مصلح معين كمعادل موضوعي، كل الأنبياء والأئمة الأطهار (سلام الله عليهم أجمعين) كانت حركات إصلاحية وحينما تواجه تحولات وركاماً من الفساد تعد إلى إنشاء حركات أو تيارات تأخذ قالب الإصلاح، وكل الحركات الإصلاحية في التاريخ تنشأ عادة كمعادل لانتشار الفساد، وحينما ينتشر فساد لا بد أن يكون هناك مُعادل ينهض بمهمة الإصلاح؛ حتى يرسو المجتمع والدولة على الإصلاح الصحيح، فلا يختلف اثنان أن هناك ظواهر فساد انتشرت في العراق في كل المجالات (الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والإدارية، والمالية، والأخلاقية)، وهذه تراكمات تدوّرت من خلال الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، واعتمدت أسلوب الفساد والإفساد بمختلف أنواعه؛ لذا الشعب العراقي يئنّ أنيناً كبيراً من هذه الظاهرة، إضافة إلى البنية التحتية الفاسدة التي ترشحت، وانعكست على البنى الفوقية..

صحيح أن الحكومة تنهض، وتضطلع بمهمة معالجة الفساد ومواجهته بأسلوبها كأجهزة تنفيذية أمنية أو إدارية لكن نحتاج إلى ثقافة معادلة لثقافة الفساد تتحرك في البيت والمدرسة والإعلام ومؤسسات المجتمع المدني؛ حتى تنشر ثقافة الصلاح أو الإصلاح.. من هنا كانت الحاجة ضرورية وماسّة، طبعاً لا يزعم أحد أن ولادة الإصلاح مع ولادة تيار الإصلاح - نعوذ بالله - لا أحد يقول هذا، لكن لا نعدم على تيار الإصلاح هذه الخصوصية التي ركز عليها بأنه استهدف إجراء الإصلاح على شكل تيار، وأنه يريد أن يخلّق، ويتسع للوطن؛ فجاء اسمه (تيار الإصلاح الوطني) ليلبّي حاجة ضرورية لخدمة العراق بالتعاون مع بقية القوى والتيارات والشخصيات والمؤسسات التي تشترك معنا في مهمة الإصلاح.

المقدم: ما مدى استجابة الشارع العراقي لهذا التيار، وهل يمكن أن نتعرّف عليها سلباً أو إيجاباً من خلال انتخابات مجالس المحافظات؟

الجعفري: من دون شك أن الإصلاح كنمطية والشخصيات في التيار لم تعيش نمطية الإصلاح وسلوكيته إنما أخذت سياقات إصلاحية في الواقع العراقي، لكن

كهيكالية وكيان تم الإعلان عنه في 2008/5/30 أي مضى عليه (سنة ونصف)، وعندما دخل في العملية الانتخابية الأولى التي هي مجالس المحافظات كان لم يمض عليه ستة أشهر تقريباً، والاستجابة كانت ممتازة في مقاسات الكيانات التي بين انطلاقها إلى مشاركتها حيز كبير.. فتيار الإصلاح بعد سنة من تأسيسه دخل في عشر محافظات، وكانت استجابة ممتازة وجيدة، ونحن لا نختزل نجاح تيار الإصلاح من خلال مواقع في مجلس محافظة، أو في برلمان.. معاييرنا في الربح هي ثقافة الإصلاح ومديات انتشارها.. والشخصيات الإصلاحية وبرامجها وما استطاعت أن تحققه هذا هو نجاحنا الحقيقي.

عندما نراقب الخطاب نشعر أن الخطاب الوطني بدأ الآن ينشر ظله على أوسع دائرة ممكنة، وأعتقد أن هذا نجاح كبير، وقفزة نوعية وممتازة بحيث وصل الخطاب إلى تجاوز النعرة الطائفية وشجب الإرهاب ورفض الاحتلال، ومثلما قلت: هذا ليس حكرأ على تيار الإصلاح لكنه من دون شك ينسجم مع منهج الإصلاح وأهدافه، ونحن نتطلع لأن ينتشر أكثر فأكثر.

المقدم: ماذا يعني دخول القوات الإيرانية حقول الفكة بما أثار مشاعر العراقيين، وقد يُشكل علينا البعض بأنه عندما دخلت القوات الأميركية العراق طويلاً وعرضاً، لماذا لم تثر مشاعر العراقيين؟

الجعفري: دخول القوات الإيرانية إلى الأرض العراقية انتهاك، ومسّ بالسيادة غير مسموح به مهما كانت أسبابه وحجمه والطرف الذي قام به. فنحن أمام مشكلة لكنها في تقديري غير عصيّة على الحل، وينبغي أن نواجهها بمشاريع حل، ولا نكون مشروع مشكلة تلتهب إلى درجة عالية، وتتحول من أزمة بئر إلى أزمة علاقة سياسية بيننا وبين إيران وقد تحدثت غداً بيننا وبين تركيا وبعدها مع سورية والسعودية فينبغي أن نتحلى بعقلية الحل، وننهض بمشروع حلول وليس مشروع مشاكل فأنا ألاحظ ردود الفعل قد دخلت في حيز المزايدات والانفعالات، ودخلت فيها مركبات غير طيبة.. يجب أن نعتمد الطرق الدبلوماسية، وهناك أعراف دولية وإقليمية ووطنية، وهناك قوانين ودساتير كلها معنا في حل المشكلة، ونستطيع حلها؛ فلا ينبغي أن نتعامل بطريقة نحل بها مشكلة بسيطة فتورثنا ركاماً من مشاكل لاحقة تؤزم العلاقات العراقية - الإقليمية.

المقدم: كلامك في العنوان الأولي متفق عليه ولكن في العنوان الثانوي بأبعاده العربية أخذ حيزاً كبيراً، فهناك من يقول لماذا عندما تدخل إيران عبر الحدود يكون هناك صمت برلماني وحكومي، وإن كان هناك ردود أفعال فليست بالحجم نفسه الموجود على الخط الحدودي، ولماذا عندما يكون هناك تدخل عربي سواء كان سعودياً أم سورياً تثار التصريحات النارية من قبل الحكومة العراقية تجاه الموقف العربي؟

الجعفري: التدخل مرفوض من أي طرف كان، ونربأ بأنفسنا عن أن نتدخل بشؤون الآخرين وإحدى الملاحظات التي سبقت ضد النظام المقبور هي عندما دعا إلى ثقافة التسيد وثقافة الضم وتدخل في سيادة دولة الكويت، وانتهاك حرمة هذا البلد ..

هكذا مشاكل يمكن حلها بالسياقات السياسية الدبلوماسية التي تتكفل بها وزارة الخارجية والبروتوكولات المعروفة عادة في العالم، وحلّ مثل هذه المشاكل ممكن باستدعاء السفير ومساءلته وسفيرنا في تلك الدولة يُوصل رسالة؛ لذا ينبغي أن نجيد فن إدارة الدولة بطريقة حضارية.. نحن لا نسمح بانتهاك سيادتنا لكننا لا نهرع، ولا ننجرّ إلى معارك جانبية تخنق العراق في الحوض الإقليمي والحوض الدولي..

هناك الكثير من الدول انتهكت حقوقنا بتسلل عناصر إرهابية منها إلى أراضينا، ونحن نسعى إلى إنهاء هذا الانتهاكات من دون أن تورثنا قطيعة مع تلك الدول؛ فلعل بعض الأهداف التي يروم الإرهاب تحقيقها هو تأزيم العلاقة بيننا وبين الوضع الإقليمي..

فعلينا ألا نتحرك من المشكلة، وننتهي إلى أزمة علاقة، فهذا هو الذي يستهدفه العدو المشترك؛ لذلك ينبغي أن نضع في ثوابتنا العلاقة السياسية الإقليمية أو الدولية والحفاظ على العلاقات بيننا وبين دول الجوار الجغرافي مع الحسم في عدم التدخل.

المقدم: نعود إلى أجواء المفوضية والانتخابات .. هناك أصوات تقول: إن مفوضية الانتخابات غير نزيهة وهي مجموعة من تكتلات حزبية، ما رأيك بمفوضية الانتخابات؟

الجعفري: السؤال ينطوي على مجموعة عناصر تستدعي التوقف عندها، أما المحاصصة في المفوضية فأنا لست معها، بل ضدّ أي محاصصة في الدولة خصوصاً، وقد سمّيتها إبان 2005 بأنها (حكومة المفوضية)، أعني بذلك أنها صاحبة القرار، ولا دالة للحكومة على المفوضية؛ حتى لا يتدخل أحد

بشأنها، ولم نتدخل علماً أن عام 2005 كان موسم انتخابات تشريعية وإقرار الدستور.

وأما ظواهر الفساد في الانتخابات وصناديق الاقتراع فقد صارت المفوضية بذلك.

المقدم: قانون الانتخابات قد أُقرّ من قبل مجلس النواب، وصادق عليه مجلس الرئاسة.. لماذا لم يُقرّ قانون الأحزاب، هل هناك خشية من بعض الأحزاب السياسية أن يكشف مستورها؟

الجعفري: من دون شك تأخير إقرار قانون الأحزاب نقطة ضعف، لكنني أعتقد أن هذا عائد إلى حالة مَرَضِيَّة عامة، وهي أن هناك شيئاً من التواني في البرلمان لجهة عدم الإسراع والبت بالمشاريع المقررة التي كان المفروض أن يُبت بها منذ زمن بعيد.. على البرلمان أن يتحلّى بعقلية موضوعية متجردة من كل شيء.

المقدم: تفاؤلك في أداء البرلمان في هذه الفترة الحالية كتجربة أولى بعد صراع مرير مُلّفت للانتباه، ولم يشاهد الدكتور إبراهيم الجعفري يحضر جلسات مجلس النواب إلا نادراً لماذا؟

الجعفري: أما عن تقييمي للبرلمان ففيه شخصيات برلمانية قوية إجمالاً، لكن محصلة البرلمان ضعيفة فالبرلمانيون أقوياء والبرلمان ضعيف، وربما يعود هذا إلى طريقة تشكيل البرلمان، وطريقة القوائم المغلقة فكانت العتلات التي تحرك البرلمان هم قادة الكتل وليس أعضاء البرلمان البالغ عددهم 275 عضواً، وانعكس على أداء البرلمان، وواحدة من العوامل ولا أقول كل العوامل التي جعلتني لا أستطيع أن أؤدي دوري في البرلمان هو حالة اختزال الكتل البرلمانية بشخصيات. أعتقد أن عضو البرلمان حينما يجلس في البرلمان يجب أن يتذكر الشعب، ويحلّق في سماء العراق.

المقدم: ما تصوّرُك للبرلمان المقبل؟

الجعفري: البرلمان أفضل مكان للقاء التنوع العراقي.. أتمنى، وأعمل من أجل الاستفادة من أخطاء البرلمان السابق، والمحافظة على مكاسبه، وتجاوز الأخطاء، لكنني لا أرسم صورة رومانسية خيالية في بالي، ويجب أن نضع كل شيء في العراق في حالة صعود، ونتقبل أن ننحني قليلاً من أجل أن نرتقي على سُلّم الصعود، ويجب أن نُحدِث فرقاً بين البرلمان الحالي والبرلمان القادم.

المقدم: كيف كنتم تثقفون عناصر المعارضة على أن يكونوا رجال دولة يخدمون المواطن العراقي؟

الجعفري: عقلية المعارضة تغاير عقلية الحكم، وسلوكية قوى المعارضة غير سلوكية الحاكم.. في المعارضة كنا نوظف كل شيء من أجل هدم النظام المقبور الذي جثم على صدر العراق، وابتز خيراته، وفعل ما فعل.. أعتقد أن كلمة الفصائل المعارضة العراقية المختلفة التقت على شيئين، العمل حتى إسقاط النظام وجعل صناديق الاقتراع بديلاً عنه، وحصل ذلك هذه عقلية المعارضة، وعندما أتينا إلى الحكم، يجب أن نتحلى بعقلية أخرى، وهي كيفية بناء دولة - للأسف الشديد - كثيرون لم يكونوا يميزون بين الحكومة والدولة؛ فاخترلوا أنفسهم بالحكومة لا الدولة، وظلت حركتهم حبيسة نمطيات وسياقات شخصية.

المقدم: هناك تباين وتوتر في العلاقة بين إقليم كردستان والمركز بسبب الملفات العالقة لاسيما ملف كركوك وأزمة النفط في إقليم كردستان والعقود التي يبرمها الإقليم، كيف يمكن الخروج من هذه الملفات بشكل توافقي، وتعود العلاقات كما كانت؟

الجعفري: العراق الذي يتطلع، ويعمل من خلال الشخصيات الوطنية المعروفة لنزع فتيل الأزمات مع دول العالم إقليمياً ودولياً من باب أولى أن ينزع فتيل الأزمات الداخلية؛ لأننا مع أي شريحة مجتمعية عراقية، وهو حديث مع الذات وليس حديثاً مع الآخر؛ لأن الآخر العراقي هو الذات العراقية كردياً كان أم تركمانياً أم عربياً، وسُنياً كان أم شيعياً يجب أن ننظر إلى هذه الملفات من خلال الثابت الوطني والمتغيرات الموضوعية، والثوابت الوطنية هي: السيادة الوطنية العراقية، ووحدة العراق، والمصلحة الوطنية وما يرتبط بذلك، والدستور، والقوات المسلحة، ويشرفنا جميعاً أننا عراقيون، ثم تتفرع منها قضية موضوعية هذا عراقي عربي، وهذا عراقي تركماني، وهذا عراقي كردي، فنتقدم العراقية على هذه الأشياء عندما يتقدم المشترك فهذا يعني أن هناك وحدة وطنية... لا نريد أن نلغي القوميات إنما نريد أن نؤطر التنوع القومي بإطار عراقي واحد وطني حتى يضمنا كلنا.

المقدم: تدعون دائماً إلى تعديل بعض مواد الدستور ورئيس الوزراء المالكي يدعو كذلك إلى تعديل الدستور لصالح المركز، ألا تخشون انزعاج الحلف الكردي منها؟

الجعفري: ربما لاتزال بعض المخاوف عند الإخوة الكرد وهي مخاوف مشروعة خصوصاً؛ بسبب الاضطهاد الذي تعرّضوا له من قبل الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، لكن ما يبدها اليوم هو الأجواء الديمقراطية التي عمّت البلاد، والدستور الذي أسهمت في كتابته كل التنوعات العراقية، الذي يحمي حقوق الجميع؛ فأقول: لا داعي لهذه الهواجس والجميع في مأمن، والعراق لكل العراقيين.

المقدم: كيف وجدت حكومة المالكي من ناحية الأداء؟

الجعفري: الحكومة اعترتها أخطاء كثيرة، ونواقص كثيرة بسبب سوءة المحاصصة، وفي الوقت نفسه يجب أن نسجل من الناحية الأمنية أنها أحدثت فرقاً.

المقدم: نود أن نسمع منك كلمتين باختصار واحدة للإعلام والأخرى للشعب العراقي.

الجعفري: الإعلام يجب أن يتحلى بالديمقراطية الإعلامية، ويجب أن يشعر كل إعلامي أنه جزء من الوطنية العراقية، وأنه ممثل لها في قناته، وهو عراقي أولاً في هذه القناة وتلك القناة وهذه رسالة مقدّسة، وننظر إلى الإعلاميين أنهم الكل الإعلامي لكل العراق سواء كان في هذه القناة أو تلك، وقد نخاصم برنامجاً نراه سيئاً لكن لا نخاصم الفضائية، ولا نخاصم الإعلامي الجيد الذي يحمل رسالة الوطنيين؛ فأنا أستنهض في أبنائي وأعزائي العاملين نساءً ورجالاً في القنوات الإعلامية بأن يستحضروا الوطنية العراقية مع احترامي لانتماءاتهم واحترامي لفضائياتهم، هذه بالنسبة إلى الإعلام..

أما الشعب العراقي فهو - الحمد لله - قد ذاق حلاوة بداية الديمقراطية، ويجب أن يستمر، ولا ينخدع بأمور يخطط لها أعداء العراق؛ لإسقاط العملية الديمقراطية، وإسقاط الخيارات الشعبية؛ نحن مُقبلون على فصل انتخابات، ويجب أن يحتشد الجميع الكبار والصغار ممن لهم حق التصويت حتى المعلولون؛ ليبرهنوا أن إرادتهم ليست معلولة، وليست معوّقة، ولا ينسوا انتخابات عام 2005 حين صوّتوا تحت أزيز الرصاص وقرقعة المدفعية، وعزموا على اللحاق والتسابق مع دول النادي الديمقراطي في العالم، وذاقوا حلاوة الديمقراطية، وليس غير الديمقراطية خياراً.

